

ديمة طهبوب

استعادة دور الشريعة في الحياة

أرفض "سيداو" لأنها ثوب غريب يريدون أن نلبسه. المشكلة التي تؤرق مجتمعنا ليست تعدد الزوجات، وهي ليست ظاهرة اجتماعية حقيقية، ولكن ما يؤرق مجتمعنا هو عدم قدرة الشباب على الزواج للمرة الأولى أصلاً. التركيز على هذه المواضيع تحديداً وتضخيمها يأتي في سياق استهداف الإسلام.

المقابلة

ديمة طهبوب، أستاذ مساعد في الجامعة العربية المفتوحة، وعضو في مجلس شورى جبهة العمل الإسلامي. ابنة نقيب أطباء سابق، وأرملة الإعلامي طارق أيوب مراسل الجزيرة في العراق الذي استشهد في حادثة معروفة.

ما هو الإصلاح بالنسبة لك كمواطنة أردنية؟ وكامرأة؟ وما هي عناصر المشروع الإصلاحي؟

أنا لا اميز "المرأة" عند تناول خاتنة "المواطنة"، فالإصلاح ينطبق على المواطن، رجلاً كان أو امرأة. وفي نظري أي إصلاح لا يتضمن البعد الإسلامي لا يعتبر إصلاح. الأحكام الشرعية جزء مهم جداً من إصلاح حياتنا، وهي بالمناسبة لا تعني تنحية الآخر أو منعه من المشاركة. نحن نتحدث عن الأحكام الشرعية مع الأخذ بالتجديد.

عناصر الإصلاح بنظري تقوم بشكل أساسي على استعادة دور الشريعة في الحياة. والإصلاح يبدأ من أسفل الهرم وليس العكس، أي أن أساسه هو المواطن. اعلى الهرم مشكلته كبيرة. أنا أعتقد ولأسباب كثيرة أن الإصلاح يأتي بأساليب سلمية، ولهذا أؤمن بالإصلاح الاجتماعي. أعلى الهرم يحتاج وسائل أخرى أنا ضدها، والصورة النمطية التي يحاولون تصوير الإسلام بها ناتجة عن محاولات إصلاح أعلى الهرم مباشرة.

ما هي أولوياتك في الإصلاح؟ أين يجب أن نبدأ؟

الأولوية هي للإصلاح الاجتماعي. هذا لا يعني أن نعود إلى المرأة فقط، فالإصلاح شامل. المرأة ليست في صراع مع الرجل كما يحاول البعض تصوير الأمور. أسباب ظلم المرأة العربية والأردنية بشكل خاص تعود إلى الفقر والجهل، وجزئياً إلى العشائرية. ولكن ما يحصل على المجتمع يحصل على المرأة، فالمرأة ليس لها كينونة منفصلة عن المجتمع. قد يزيد الظلم على المرأة، ولكن ذلك ناتج عن سوء الوضع بشكل عام، وعن سوء تطبيق الشريعة.

الظلم الأكبر تعانيه المرأة من المجتمع. عندما نتحدث عن الإصلاح لا ينبغي أن نتحدث عن المدينة فقط. في المدينة الأمور نوعاً ما جيدة. المدينة حظها في الإصلاح أوفر. المرأة في الريف والبادية في المقابل لا تكمل تعليمها العالي الجامعي، كما أنها تعطى فرصة أقل وإن كان هناك تحسن.

وهناك أيضاً ظاهرة الزواج المبكر. أنا لا أنتقد الزواج المبكر على إطلاقه لأن هناك حالات يكون ضرورياً فيها، ولكن أحياناً في الريف يمنع ذلك الفتاة من إكمال تعليمها. المرأة بحاجة إلى إصلاح تعليمي، وهناك حاجة إلى إصلاح المفاهيم الاجتماعية وتثنية بعض العادات السيئة.

المرأة تعاني من الفقر مثل كل شرائح المجتمع. الفقر وغياب التعليم، وسيادة الأعراف والنظام العشائري. وهناك طبعاً اختلاف بين المدينة والريف.

ما رأيك بوضع المرأة في الأردن؟ من حيث مشاركتها الوظيفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية... هل تطالبين بشيء محدد لها؟

في الناحية الوظيفية تحديداً، وضع المرأة يتحسن، ولكن من الملاحظ أن أصحاب العمل يحاولون استغلال المرأة من ناحية الأجور. وفي هذا الصدد أنا مع التمييز الإيجابي لصالح المرأة من ناحية ساعات العمل وظروفه، وهو بالمناسبة تمييز تنص عليه الشرائح الدولية. هناك الآن تحسن في وضع المرأة في المجالات المختلفة، والسبب الرئيس هو التعليم. المرأة تقوم بما يمكن تسميته دورها (مع تحفظي على هذا المصطلح: "الدور") في مختلف المجالات، ولا نحس بالصراع بين الرجل والمرأة. وطبعاً مرة أخرى نحس بالفرق بين الريف والمدينة.

ما رأيك في حركات الدفاع عن حقوق المرأة في الأردن؟ وإلى أي مدى أثرت في مجتمعك؟ ما تجربتك معها؟

بصراحة عندي مشكلة مع أغلب المنظمات النسوية، وذلك بسبب التمويل الخارجي. لا مشكلة لي معها من حيث المبدأ. أنا أؤمن بالانفتاح ما دام بدون أجندة مخفية. نحن مجتمع لدينا خصوصيتنا الدينية والاجتماعية والثقافية. مشكلتنا مع هذه المؤسسات النسوية هو وجود شراكة بينها وبين مؤسسات خارجية. من البديهي أن أي تمويل هو مشروط، لا يوجد تمويل بريء لوجه الله. ليس عندي مشكلة معها من حيث المبدأ، لكن مشكلتي مع أجنداتها. بالطبع أنا لا أريد أن أعظمها حقها، فهناك منظمات نسوية خدمت المجتمع المحلي في مناطق ريفية، وخدمت المرأة الأردنية. هناك لقاءات عديدة بيننا كنساء في الحركة الإسلامية وبين تلك المنظمات. ولكن بصراحة لدينا نظرة الشك والريبة لتلك المنظمات بسبب لبسها الثوب الغربي ومحاولتها سحب ذلك الثوب على المرأة العربية، رغم اختلاف الظروف والثقافات والخلفيات.

هل تعتبرين تلك المنظمات مؤثرة في المجتمع الأردني؟

بالطبع لها تأثير ونفوذ. ولكن ضمن أجندة معينة. عندما أقرت اتفاقيات دولية بهذا الخصوص، نرى تلك المنظمات تجوب البلاد وتنظم الندوات وتلتقي الكثير من النساء. ومرة أخرى لا أريد أن نبخسهم حقهم، فلهم تأثير ونشاطات وفائدة للمجتمع المحلي ولا يمكن إنكارها، فقط نريد ألا تكون ممولة أجنبياً، وألا تكون تحت العباءة الرسمية حتى تكون مفيدة للمرأة.

ما هو رأيك في اتفاقية سيداو؟

من المفيد التذكير أن مفهوم حركة تحرير المرأة نشأ في ظرف تاريخي واجتماعي مختلف عما لدينا. والمرأة الغربية غير المرأة العربية. بداية حركات تحرير المرأة نشأت كحركة عمالية للمطالبة بحقوق المرأة العاملة، وطالبت لاحقاً بالحقوق المدنية للمرأة، ومن بينها حق التصويت مثلاً، حيث لم تكن تعتبر مواطناً. وبعد ذلك نشأت حركات أكثر خطورة، مثل الحركة الشيوعية وما طالبت به للمرأة، والحركة الراديكالية والتي تتمثل في أوضح صورها في "سيداو". وهي

تقوم على مفهوم العداء بين الرجل والمرأة. أنا شخصياً درست في بريطانيا، وأقمن فيها لفترة طويلة، ورأيت بعيني أن الوضع وصل إلى مرحلة نشوء جمعيات للحفاظ على حقوق الرجل!

تلك النظريات تقوم على مفهوم المحاصصة بين الرجل والمرأة، وعلى الحرية الجسدية والجنسية، وتصبح الأسرة بدون أي اعتبار. أعتقد بشكل أساسي أن سيداؤ تستهدف كينونة الأسرة. نحن في الحركة الإسلامية اطلعنا بالتفصيل على اتفاقية سيداؤ، وبنبدأ بنبدأ، ولم نأخذ موقفاً اعتبارياً أو مسبقاً. لنأخذ أمثلة، من أول تعريفات سيداؤ هو أن أي شيء لا تتساوى فيه المرأة مع الرجل هو تمييز. لنقس ذلك على الحجاب. ضمن هذا المفهوم الحجاب هو تمييز. ثم هناك بنود فضفاضة، مثلاً هناك بند يتحدث عن إعطاء المرأة حقوقها بغض النظر عن حالتها الزوجية (marital status)، وهذا يعني ضمن المفاهيم المطروحة حالات مختلفة، منها أن تكون مع رجل في بيت واحد دون أي رابط مدني أو شرعي، وهذا شائع في الغرب.

هذا يثبت أن الاتفاقية لا تمت بصلة لمجتمعنا، إنها لم تخرج من عندنا ولا تناسب ظروفنا. نحن في المقابل نؤيد قانون الأحوال الشخصية الأردني الجديد لأنه متنور ومستند إلى الشريعة ويناسب مجتمعنا. لقد خرج من بيننا.

لنأخذ مثلاً آخر من سيداؤ. إنها تنتقد عمل المرأة بغير أجر ضمن العائلة. ولكن نحن مثلاً لدينا عمل المرأة في مزرعة العائلة. الوضع عندنا مختلف، فهل يعقل أن نطالب بأجر لعمل السيدة في مزرعة عائلتها؟

تتحدث سيداؤ عن أشكال الأسرة. سيداؤ بالمناسبة تأتي ضمن سياق، لها ما قبلها ولها ما بعدها. سيداؤ سبقها مؤتمر السكان في القاهرة، ومؤتمر التنمية البشرية في تركيا، واتفاقيات بكين 5 وبكين 10، وضمن هذا السياق، فإن مشاكل غير واردة في الاتفاقية تستنتج من السياق الذي قبلها. فهناك مثلاً حديث صريح عن الإجهاد، وعن أشكال الالتقاء الحر في الأسرة، وهناك حديث عن "الأسرة التقليدية"، بكل ما في كلمة تقليدية من مفاهيم سلبية ضمنية. أشكال الالتقاء الحر تتضمن مثلاً معيشة امرأة وامرأة أخرى، وأسرة الشراكة، وكل هذا طبعاً لا يناسبنا ولا يناسب مجتمعاتنا. هناك أيضاً الحديث عن الثقافة الجنسية: نحن مع مواجهة التحديات، وتجاوزنا النظرة التقليدية التي تجعل أي حديث في هذه الثقافة عيباً، ولكن إدخالها في مناهجنا بالطريقة التي يتحدثون عنها مشكلة حقيقية. الخلاف هو على الكيفية.

لننظر كذلك إلى الزواج المبكر. نحن مع بعض الحالات التي يكون فيها الزواج المبكر مطلوباً. سيداؤ تنتقد تعدد الزوجات، ولكن الشرع حدد حالات التعدد. هم يأخذون علينا الزواج المبكر والميراث، أي أن يأخذ الرجل حصة أكبر من المرأة.

نحن عندما نناقش المنظمات النسوية في هذه المواضيع فإننا نتحدث عن مصلحة المجتمع وليس الفرد، نحن نتحدث عن الحفاظ على المجتمع وأخلاقه ودينه، خصوصاً إذا ما نظرنا إلى المجتمع الغربي ومشاكله الاجتماعية والأخلاقية. من أهم: تعدد الزوجات أم الخيانة الزوجية؟ في الواقع إن المشكلة التي تؤرق مجتمعنا ليست تعدد الزوجات والتي ليست ظاهرة اجتماعية حقيقية، ولكن ما يؤرق مجتمعنا هو عدم قدرة الشباب على الزواج للمرة الأولى أصلاً. ما أريد أن أقوله هو أن التركيز على هذه المواضيع تحديداً وتضخيمها يأتي في سياق استهداف الإسلام.

وإذا عدنا إلى المفاهيم التي ترافق سيداؤ نجد هناك مفهوم الجندر. الجندر يفسر على أنه الهوية الاجتماعية، بغض النظر عن الحالة البيولوجية، ولهذا فهو يفتح الطريق نحو الشذوذ الجنسي، والتحول الجنسي، ومفهوم الجندر يتم ترويجه في مجتمعنا ضمن حقوق المرأة والدفاع عنها من باب التضليل وليس التلطيف. إن المصطلح يتم تقديمه بطريقة تخفي أبعاده الحقيقية.

بماذا تحلمين كمواطنة أردنية؟ حتى لو كان ذلك بنظرك صعب التحقق أو مستحيل حالياً.

حلمي للمجتمع هو تطبيق الشريعة الإسلامية. وعندما تطبق في كافة المجالات فإن الظلم سيزول، ولهذا نحن نطرح شعار "الإسلام هو الحل". أريد أن أقول هنا إن أكثر من يسيء للإسلام هم المسلمون عندما يطبقون الشريعة بطريقة سيئة. ولكن في المقابل فإن غياب الشريعة يؤدي إلى نتائج كارثية، في المغرب مثلاً، هناك ما يعرف بالمدونة المغربية، وهناك قوانين وضعية، ويمكن رؤية النتيجة السلبية على المرأة المغربية. لهذا فإن ما أحلم به لمجتمعي هو تطبيق الشريعة الإسلامية.